الشعوبية في مصر
من المانوية إلى الفاطميين

المؤرخ الدكتور وليد الزهراني

التاريخ العربي يُظهر بوضوح أن المؤامرة على العرب لم تكن من جبهة واحدة، بل تتناوب الجبهات؛ فإذا انطفأت نار الفتن في الشرق عند الفرس اشتعلت في الغرب عند مصر.

ومنذ القدم كانت مصر نسخة مكررة من فارس الشعوبية، بلسان عربي وواجهة قومية زائفة، لكنها تسير في المشروع نفسه: **«ضرب الهوية العربية من الداخل»**.

١ من المانوية إلى الشعوبية تتشكّل «الأرض الخصبة»

كما يذكر المقريزي في المواعظ والاعتبار (ج٢ / ص٢٨٧)، كانت مصر مأوى للهاربين من المشرق من أصحاب المزدكية والمانوية، فوجدوا بيئة تكره العرب وتقدّس الكهانة؛ ومن هنا نشأ التحالف غير المعلن بين الشعوبية الفارسية وبقايا الكهنوت الفرعوني.

٢ مؤامرة قتل أمير المؤمنين الخليفة الراشد عثمان بن عفان عليه السلام والرضوان

بحسب الطبري في تاريخ الأمم والملوك (ج٣ / ص٤٠٢-٤٠٥)، وابن كثير في البداية والنهاية (ج٧ / ص١٨٦): خرجت أكبر وفود القتلة من مصر بقيادة الغوغاء «السيئة»، حتى أحاطوا بدار عثمان وقتلوه. وكان التحريض والتعبئة يتمّ من أرض مصر، ومباشرة القتل كذلك. وكما قال الشاعر:

> أَلَا إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ ثَلَاثَةٍ ⋆ قَتِيلُ التُّجِيبِيِّ الَّذِي جَاءَ مِنْ مِصْرِ

ويقصد بعد ثلاثة، أي بعد النبي صلى الله عليه وسلّم وأبي بكر وعمر وعثمان رضوان الله عليهم.

٣ مصر الفاطمية الحاضنة الكبرى للشعوبية

عندما أسّس جوهر الصقلي الدولة الفاطمية سنة ٣٥٨هـ وبنى القاهرة، وجد الأرض مهيأة بفعل عقود من النشاط الدعوي الشيعي في مصر عبر الموالي الفرس المقيمين فيها، الذين أدخلوا الروايات المكذوبة والأفكار الهدّامة إلى وعي الناس.

٤ روايتا الاستبضاع والرضاع نموذجاً

أولاً: رواية الاستبضاع

من أخطر الأمثلة على دسّ الشعوبيين رواياتٍ لتشويه صورة العرب، رواية الاستبضاع التي أُقحمت في البخاري، كتاب النكاح — باب نكاح أهل الجاهلية برقم (٥١٢٧)، من طريق:

- **يونس بن يزيد الأيلي** المتوفى ١٥٩هـ، مولى فارسي مقيم في مصر.
- **وابن أخيه عنبسة بن خالد الأيلي**، وكان عاملاً على خراج مصر للعباسيين، كما في التاريخ الكبير للبخاري (ج٦ / ص٣٣٩).

كلاهما من الموالي الفرس الذين استقرّوا في مصر وخدموا الإدارة العباسية، ويماثلان في دورهم «حمراء الكوفة» في نشر الفكر الشعوبي عبر الرواية.

والطريق في البخاري: يونس بن يزيد، عن ابن شهاب الزهري، عن عروة بن الزبير، عن عائشة رضي الله عنها. وفيه وصف أربعة أنواع من النكاح الجاهلي، منها «الاستبضاع» الذي صُوِّر فيه العرب وكأنهم يرسلون نساءهم لطلب الفحل القوي.

وفي سنن أبي داود برقم (٢٠٧٦) جاء الطريق أيضاً عبر عنبسة عن يونس، مما يثبت أن هذا المحور مصريٌّ خالص من الموالي الفرس.

ثانياً: رواية رضاع الكبير

أما رضاع الكبير فأُقحم في موطأ مالك، وتمّ تضخيمه وترويجه الفقهي حتى صار مادة جدلية عبر المدرسة المصرية «الحديثية» التي ضمّت الموالي الفرس، وعلى رأسهم يونس الأيلي وتلاميذه.

فإرضاع الكبير ليس من ثقافة العرب إطلاقاً، بل من الطقوس الفرعونية القديمة التي كان يُرى فيها إرضاع البالغ تجديداً وانتساباً روحياً، ونُقلت إلى النصوص عبر الموالي؛ لإدخال العادات المصرية في الإسلام وتشويه صورة العرب.

فهؤلاء الموالي المصريون عملوا لسنوات في الدواوين العباسية، واستغلّوا نفوذهم لنشر هذه الروايات بنفس أسلوب حمراء الكوفة، ليشكّلوا «حمراء مصر» التي أفسدت وعي الناس ومهّدت للمشروع الفاطمي الرافضي الشعوبي.

٥ من الرواة إلى الفاطميين التمهيد البعيد

هؤلاء الرواة المصريون من الموالي الفرس لم يكونوا مجرد أفراد ينقلون الحديث، بل كانوا حلقة في مشروع ثقافي طويل المدى: نشر صورة سلبية عن العرب في الجاهلية والإسلام، وقام بتمرير الأكاذيب والقصص المثيرة للطعن في شرف العرب.

مما ساعد الفاطميين بعد قرنين على إيجاد جمهور مستعد لتقبُّل دعوتهم الباطنية، كما أن تمركزهم في الإدارة العباسية عبر «كنيسة النسخ بمصر» ومن كان على خراجها، أعطاهم سلطة ومكانة لنشر الروايات بين العامة والخاصة.

٦ الجبهة الغربية صورة طبق الأصل من الشرقية

كما كانت فارس العباسية معقلاً للفتن، كانت مصر الفاطمية المملوكية العصملية الناصرية النسخة الغربية؛ فإذا ضعفت الجبهة الشرقية تولّت مصر زمام المؤامرة، والعكس صحيح.

فمصر لم تكن يوماً رأس الحربة في الدفاع عن العرب، بل كثيراً ما كانت خنجراً في الخاصرة، تخدم مشروع الصفويين لكن بلسان عربي؛ فهؤلاء الموالي المصريون الفرس كانوا «حمراء مصر» الذين مهّدوا الأرض لقيام الفاطميين لاحقاً.

المصادر المذكورة في النصّ

١. المقريزي — المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار.

٢. الطبري — تاريخ الأمم والملوك.

٣. ابن كثير — البداية والنهاية.

٤. البخاري — الجامع الصحيح، كتاب النكاح.

٥. البخاري — التاريخ الكبير.

٦. أبو داود — السنن.

٧. مالك بن أنس — الموطأ.